سليمان فياض

الخلود حق الشهداء

ما ينبغي أن نفكر فيه من الآن ، ونحن نخوض حربا مصيرية عادلة ، هو كيف نكرم شهداءنا في هذه الحرب ، والتكريم الوحيد للشهيد هو تخليد اسمه ودوره ، وهويته وذكراه ، فقد قبل ان يفنى في المجموع ، وان يمنح كل وجوده وحياته لقومه ، ويضحي بالعمر الوحيد الذي يملكه ، عن ارادة واختيار ، في صمت ورضا .

ولقد درجنا منذ قرون على منح هذا التخليد بصورة عمومية للشهداء ، في ابان القتال وبعده ، بنصب تذكاري للجندي المجهول ، متجاهلين اسم كل شهيد ودوره ، وحياته وهويته ، ذكراه الشديدة الخصوصية ، او بتخليد بعض الشهداء البارزين لاسباب اجتماعية او عسكرية مختلفة ، وترك الباقين من الشهداء اسمائهم سجينة السجلات ، وقليل منهم من يطل اسمه علينا بين سطور صحيفة ، أو دورية من الدوريات .

وأثناء المقاومة المصرية لاحتلال جيوش نابليون لمصر قام الجبرتي بعمل أفضل في تخليد الشهداء ، كتب عن كثيرين منهم عمدا وفلاحين وتجارا وحرفيين وعربا ، ومنذ ما يقرب من قرنين .

وبوسعنا الآن ، ان نبدأ في الاعداد لتخليد شهدائنا واحدا واحدا ، وبالاسم والدور والهوية والحياة كما تفعل الدول المتقدمة ، وبخاصة الدول الاشتراكية مع شهدائها ، ومن صور هذا التخليد الذي هو حق علينا ، مفروض ان نؤديه ، ونفي به ، « لكل شهيد » :

☐ اقامة نصب تذكاري ، في كل قرية ، ومدينة ، وعاصمة اقليم ، يكتب عليه أسماء شهداء هذه القرية ، او المدينة ، او ذلك الاقليم .

☐ اعداد متحف خاص في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم ، او ارض معركة كبيرة ، يضم كتيبات عن شهداء القرية او المدينة او الاقليم ، تعرف بهم ، وتكشف عن دورهم الذي أدوه للوطن ، ويضم صورا مطبوعة لهم ، والمخلفات الشخصية التي حصلوا عليها من المعارك التي خاضوها .

☐ اطلاق اسماء الشهداء في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم على شوارعها وميادينها ، والطرق المؤدية اليها ومدارسها ومنشآتها .

☐ اعداد أفلام تسجيلية للمعارك التي خاضها الشهداء لاستثمارها في أفلام خاصة بهذه الحرب ، ليس فقط تعبيرا عن المجد الوطني ، وانما ايضا وفاء لهؤلاء الشهداء بحقهم في الخلود ، كأي كاتب ، او عالم ، او فنان ، او زعيم ، او قائد .

وهذه الوسائل والصور لتخليد ذكرى كل شهيد ، يمكن الاعداد لها وتنفيذها ، عن طريق الثقافة الجماهيرية ، والتوجيه المعنوي للقوات المسلحة ، وأهل هؤلاء الشهداء في القرى والمدن وعواصم الاقاليم . وتجارب العالم المتقدم في هذا الموضوع يمكن دراستها والاستفادة منها بما يناسب الواقع المحلي للشعب المصري .

ذلك هو السبيل الوحيد لنحول الشعار « الخلود حق لكل شهيد على الطريق » من كلمات الى أفعال ، من تعميم الى تخصيص ، من حماس موقوت ، الى وفاء دائم ، وباق ، لكل شهيد .

ان شهداءنا هم أفضل من خدم مصر ، وحافظ على روحها . وتخليدهم ، كل على حدة ، يعني اننا نقيم شعلات مضيئة لكل أجيالنا القادمة ، تحفزهم على التضحية كلما تعرضت روح مصر وحياتها للخطر ، ارضا وشعبا ومستقبلا وحياة ، تدفعهم الى القبول بالفناء في المجموع ، وبالاستشهاد من اجل الوطن ، وقضاياه الانسانية العادلة .

عز الدين آسماعيل

متغيرات صنعتها حرب العدالة

كثيرون اولئك الذين كانوا قد فقدوا الايمان بامكانية تغير الواقع أو كادوا يفقدونه . ولم يتولد هذا الشعور اليائس وهذه النظرة الانهزامية الا في غياب الادراك الواعي لحقائق التاريخ وللقوى الفعالة الكامنة في صميم الواقع نفسه .

ولقد غيرت حرب السادس من اكتوبر ـ فيما تواتر من تعليقات الخبراء العسكريين ـ كثيرا من المفاهيم العسكرية التي كانت سائدة حتى بداية هذه الحرب . ولست مؤهلا للخوض في هذه المفاهيم التي غيرها جدينا المقاتل في ساحة الشرف ، ولكنني أكتفي بأن أبدأ احصائي ورصدي للمتغيرات التي احدثتها هذه الحرب بهذا التغير الباهر.

أولا : هناك متغيرات على المستوى الوطني تتمثل فيما يلي :

١ ـ التقدير المتبادل بين فئات الشعب ، وبروز الجوهر الانساني في السلوك العام .

٢ ـ الخروج من السلبية واللامبالاة الى العمل الايجابي نتيجة لوضوح الهدف .

٣ ـ التضحية بشتى صورها لدى كافة القطاعات الشعبية في سبيل تحقيق الهدف .

٤ ـ اختفاء جرائم القتل والسرقة وغيرها نتيجة لادراك كل فرد لواجبه وانهماكه في اداء دوره .

٥ ـ سقوط كل دعاوى التفرقة البغيضة بين فئات الشعب وفي داخل الفئة الواحدة ، وبروز الوحدة الوطنية كأقوى ما تكون .

ثانيا : هناك متغيرات على المستوى القومي ، تتمثل فيما يلي :

١ ـ ان الوحدة العربية قد تحققت سلوكا وعملا ، لا كلاما وشعارات .

٢ ـ ان الطاقات العربية التي كانت بفعل عوامل كثيرة ـ مشلولة عن العمل قد تفجرت وانطلقت على نحو لا يمكن رده او الوقوف في طريقه .

٣ ـ ان هذه الامة العربية قد وقفت ـ بسبب تلك الحرب ـ على بداية طريق نهضة شاملة كفيلة بأن تجعلها قوة فعالة ومؤثرة في موازين القوى العالمية .

ثالثا : هناك متغيرات على المستوى العالمي ، تتمثل فيما يلي :

١ ـ ان كل التصورات التي اجتهدت الدعاية الصهيونية طوال ست سنوات في تثبيتها في اذهان شعوب العالم ، تلك التصورات التي تستهدف التهوين من شأن العرب والحط من قدراتهم والنيل من كرامتهم قد انهارت .

٢ ـ ان كثيرا من الحكومات التي كانت مخدوعة في اسرائيل الصهيونية قد أفاقت على الحقيقة ، فسحبت ثقتها فيها ، ووجهت اليها اصبع الاتهام ، حتى صارت في عزلة توشك ان تكون تامة .

٣ ـ ان بعض الدول التي ظلت ـ حتى بعد قيام الحرب ـ تناصر اسرائيل وتقدم اليها شتى المعونات ، قد بدأت ـ مثل المانيا الغربية ـ تتراجع امام المد العربي وتبدي أسفها على ما تورطت فيه .

٤ ـ ان منطقة الشرق الاوسط تقع من قلب العالم في الصميم ، ومنها تخرج شرايين الدم الى شتى أنحاء العالم ، الامر الذي اخذت شعوب العالم تدرك خطورته .

والمهم الآن ـ حتى بعد ان تحقق الحرب اهدافها العادلة ـ ان نعمل على تعميق شعور العالم بخطورة المنطقة على حياة كثير من الشعوب ، بخاصة في العالم الغربي .

لقد صنعت حرب السادس من اكتوبر الكثير من التغيير ، وسوف يكشف المستقبل عن مزيد من أبعاد هذا التغيير على مستوى الفرد العربي والامة العربية والعالم أجمع .